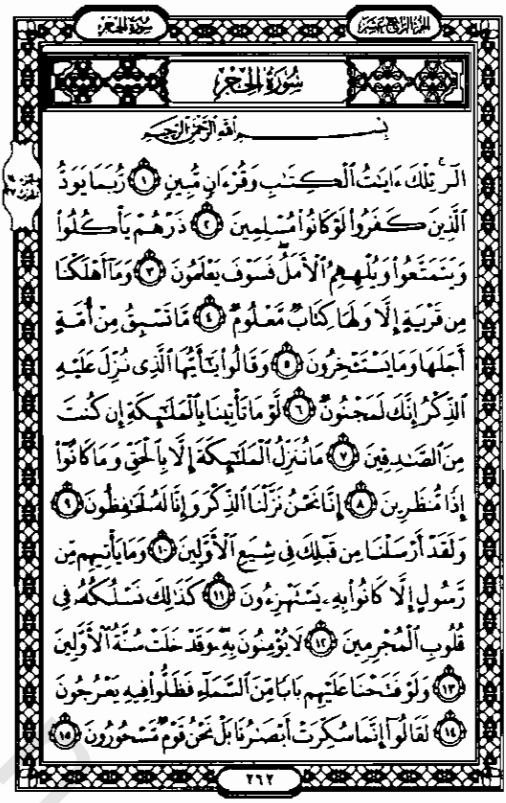
سُورَةُ الحِجْرِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟
وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهْلَكْنَا
مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ
ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟
إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن
رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى
قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ
۝١٣ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ
۝١٤ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥
٢٦٢

سورة الحجر

معانى الكلمات :

يود : يتمنى .

ذرهم : اتركهم .

كتاب : أجل مقدور مكتوب فى اللوح المحفوظ .

شيع الأولين : فرق الأمم السابقين .

نسلكه : نُدْخِلُ الذكر مُسْتَهْزَأً به .

يعرجون : يصعدون فيرون الملائكة والعجائب .

سكرت أبصارنا : سدت عيوننا .

قوم مسحورون : أصابنا محمد بسحره .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نوضح مكانة القرآن ، والله هو الحافظ له .

٢ ـ أن نعلم حال الكافرين مع الرسول ﷺ .

٣ ـ أن نتعرف على حال الكافرين فى العناد وأنهم لا يؤمنون .

المحتوى التربوى :

هذه السورة مكية بجملتها نزلت بعد سورة يوسف فى الفترة الحرجة ، ما بين عام الحزن وعام الهجرة ، وهذه السورة عليها طابع هذه الفترة ، وحاجاتها ومقتضياتها الحركية ، إنها تواجه واقع تلك الفترة مواجهة حركية ، وتوجه الرسول ﷺ والجماعة المسلمة معه ، توجيها واقعيا مباشرا وتجاهد المكذبين جهاداً كبيرًا، كما هى طبيعة هذا القرآن ووظيفته .

وتبدأ السورة بالحديث عن طبيعة الكتاب الذى يكذب به المشركون ، وتهددهم بيوم يتمنون فيه لو كانوا مسلمين ، كما تكشف لهم عن سبب إرجاء هذا اليوم عنهم ، فهو موقوت بأجل معلوم ، ويذكر تحدياتهم واستهزاءهم وطلبهم الملائكة ، ثم تهددهم بأن نزول الملائكة يكون معه

الهلاك والتدمير ، وأخيراً تكشف عن العلة الحقيقية للتكذيب ، إنها ليست نقص الدليل ولكنه العناد الأصيل .

وهذه الأحرف ونظائرها هى الكتاب وهى القرآن ، هذه الأحرف التى فى متناول الجميع ، هى تلك الآيات العالية الأفق البعيدة المتناول ، هذه الأحرف التى لا مدلول لها فى ذاتها هى القرآن الواضح الكاشف المبين ، فإذا كان قوم يكفرون بآيات الكتاب المعجز ويكذبون بهذا القرآن المبين ، فسيأتى يوم يودون فيه لو كان غير ما كانوا ، ويتمنون فيه لو آمنوا واستقاموا ، وفى هذا تبشير للنبى ﷺ بظهور دينه ، وأنه سوف يأتى أيام يتمنى الكافرون بها ، أن لو سبق لهم الإسلام فكانوا من السابقين ، لما يرون من إعلاء كلمة الدين وظهوره رغم الملحدين .

ويأتى تهديد لهم شديد ووعيد أكيد بأن يتركوا فيما هم فيه من حياة حيوانية محضة للأكل والمتاع ، يتركوا فى هذه الدوامة : الأمل يلهى والمطامع تغر ، والعمر يمضى والفرصة تضيع .

يقول صاحب **الأساس** : « فهمنا من الآية أن الأكل والتمتع فى الدنيا والأمل هى كل شىء بالنسبة للكافر ، وأن هذه القضايا الثلاث تشغلهم عن كل شىء ، وإذا تأملنا حال الكافرين ، وحاولنا أن نلخص أحوالهم لم نجد أبلغ مما وصفهم القرآن به ، وفى ذلك مظهر من مظاهر الإعجاز القرآنى ، إذ مثل هذه الإحاطة فى النفس البشرية ، وهذا البيان البليغ يخرجان عن طوق البشر ، وفى الآية تنبيه عظيم للمؤمنين على أن إيثار التلذذ والتمتع والانشغال بالآمال الكاذبة ، وما يؤدى إلى طول الأمل وإلى أن تصبح هذه الأخلاق عميقة الجذور فى النفس والقلب ، كل ذلك ليس من أخلاق المؤمن ، كما أن أمر الرسول ﷺ بتركهم يشير إلى أن الواجب فى حق هؤلاء ازدراؤهم واحتقار ما هم فيه ، وأى ازدراء أكبر من أن يؤمر المكلف بالتبليغ أن يترك مَنْ هذا شأنه ، وفى عصرنا حيث تعتبر قضية الطعام والمتاع ميزان التقدم ، وحيث تقوم الحركات السياسية كلها على تعليق نفس الإنسان بالآمال الدنيوية ندرك أهمية هذا التوجيه فى التربية الإسلامية » .

وبعد أن أمر الله رسوله ﷺ أن يدع هؤلاء الكافرين لما هم فيه ذكر تعليلات ذلك الأمر : فالله ـ عز وجل ـ ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ، وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن ميقاتهم ، ولا يتقدمون عن مدتهم، فإذا كانت سنة الله كذلك فهؤلاء الكافرون المعاندون لك يا محمد سيأتيهم أجلهم ، ومن ثم فدعهم فيما هم فيه ونحن نتولى شأنهم .

وعلة أخرى للأمر بتركهم : هى أقوالهم المتعنتة التى تخرجهم عن طور استحقاق الدعوة والإنذار ؛ لأن أقوالهم تخرجهم عن الاتزان والإنصاف ، فقد قالوا : يامَنْ تدعى إنزال الذكر عليك إنك لمجنون فى دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا ، فهلا آتيتنا بالملائكة يشهدون لك بصحة ما جئت به إن كنت صادقا .

وقوم هذا منطقهم : السباب ، واقتراح خرق نظام الكون، لا يستحقون الاهتمام وإنما الترك ، ومع ذلك فقد رد الله عليهم أقوالهم بأن الملائكة ما تنزل إلا ملتبسة بالحق والحكمة ، إما بالرسالة وإما بالعذاب ، والعذاب له أجل والرسالة لها أهلها ، ولو نزَّل الله الملائكة ما كانوا منظرين ولما تأخر عذابهم ، وهذا ردٌّ على طلبهم تنزل الملائكة ، وأما اتهامهم رسول الله ﷺ بالجنون بسبب تنزل الذكر عليه ، فالرد عليه بأن الله هو الذى نزل القرآن وهو حافظه من التغيير والتبديل فى كل وقت بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها ، وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ، ولم يكل حفظ القرآن إلى غيره .

ويعزى الله ـ سبحانه ـ نبيه ﷺ فيخبره أنه ليس بدعا من الرسل الذين لقوا الاستهزاء والتكذيب ، فهكذا المكذبون دائما فى عنادهم الذميم ، وعلى هذا النحو الذى تلقى به المكذبون أتباع الرسل ما جاءهم به رسلهم ، يتلقى المكذبون المجرمون من أتباعك ما جئتهم به ، وعلى هذا النحو يجرى هذا التكذيب فى قلوبهم التى لا تتدبر ولا تحسن الاستقبال ، جزاء ما أعرضت وأجرمت فى حق الرسل المختارين نسلكه فى قلوبهم مكذبا بما فيه مستهزأ به ؛ لأن هذه القلوب لا تحسن أن تتلقاه إلا على هذا النحو ، سواء فى هذا الجيل أم فى الأجيال الخالية أم فى الأجيال اللاحقة فالمكذبون من طينة واحدة .

ويخبر ـ تعالى ـ عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق : أنه لو فتح لهم بابا من السماء ، فجعلوا يصعدون فيه ، لما صدقوا بذلك ، بل قالوا : سدت أبصارنا وعميت وسحرنا ساحر ، ويكفى تصورهم على هذا النحو لتبدو المكابرة السمجة ويتجلى العناد المزرى ، ويتأكد أن لا جدوى من الجدل مع هؤلاء ، ويثبت أن ليس الذى ينقصهم هو دلائل الإيمان ، وليس الذى يمنعهم أن الملائكة لا تنزل ، فصعودهم هم أشد دلالة وألصق بهم من نزول الملائكة ، إنما هم قوم مكابرون ، مكابرون بلا حياء وبلا تحرج وبلا مبالاة بالحق الواضح المكشوف ، والشواهد الكونية أظهر وأوضح من عروجهم إلى السماء ، وهى تخاطب كل فطرة غيره معطلة خطابًا هامسًا وجاهرا ، باطنا وظاهراً ، بما لا تملك هذه الفطرة معه إلا المعرفة والإقرار .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ المكذبون لرسل الله فى شتى الأزمان والعصور طريقتهم واحدة فى العناد ، وسنة الله فيهم الإهلاك والتعذيب ؛ ليكونوا عبرة لمن بعدهم .

٢ ـ القرآن الكريم كتاب معجز ، تكفل الله بحفظه .

٣ ـ لكل أمة أجل محدد ، وكذلك لكل فرد لا يتقدم عنه ولا يتأخر.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ
لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ
بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ
مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن
صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾
٢٦٣

معانى الكلمات :

بروجا : منازل للكواكب السيارة .

استرق السمع : خطف المسموع من الملأ الأعلى .

شهاب : شعلة نار ساقطة من السماء .

موزون : مقدر بميزان الحكمة .

صلصال : طين يابس كالفخار .

حمأ : طين أسود متغير .

مسنون : مصور صورة إنسان أجوف .

نار السموم : الريح الحارة القاتلة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على بعض مظاهر قدرة الله ـ تعالى .

٢ ـ أن نعلم قصة البشرية الكبرى ممثلة فى خلق آدم عليه السلام وعدوه اللدود إبليس اللعين .

المحتوى التربوى :

من مشهد المكابرة وكان ميدانه السماء ، إلى معرض الآيات الكونية مبدوءاً بمشهد السماء ، فمشهد الأرض ، فمشهد الرياح اللواقح بالماء ، فمشهد الحياة والموت ، فمشهد البعث والحشر ، وتنطق بآيات القدرة المبدعة ، وتشهد بالإعجاز أكثر مما يشهد نزول الملائكة ، وتكشف عن دقة التنظيم والتقدير ، كما تكشف عن عظمة القدرة على هذا الخلق الكبير ، والبروج قد تكون هى النجوم بضخامتها والكواكب بضخامتها وقد تكون هى منازل النجوم والكواكب التى تنتقل فيها فى مدارها، وهى فى كلتا الحالتين شاهدة بالقدرة وشاهدة بالدقة، وشاهدة بالإبداع الجميل ، وإن نظرة واحدة شاعرة مبصرة إلى السماء فى الليلة الحالكة لكفيلة بإدراك حقيقة الجمال الكونى ، وعمق هذا الجمال فى تكوينه .

ومع الزينة الحفظ والطهارة للسماء لا ينالها ولا يدنسها ولا ينفث فيها من شره ورجسه وغوايته ، فالشيطان موكل بهذه الأرض وحدها ، وبالغاوين من أبناء آدم فيها ، أما السماء ـ وهى

رمز للسمو والارتفاع فهو مطرود عنها مطارد لا ينالها ولا يدنسها إلا محاولة منه ترد كلما حاولها.

وما الشيطان ؟ وكيف يحاول استراق السمع ؟ وأى شيء يسترق ؟ كل هذا غيب من غيب ، لا سبيل لنا إليه إلا من خلال النصوص ، ولا جدوى فى الخوض فيه ؛ لأنه لا يزيد شيئاً فى العقيدة ، ولا يثمر إلا انشغال العقل البشرى بما ليس من اختصاصه ، وبما يعطله عن عمله الحقيقى فى هذه الحياة ، ثم لا يضيف إليه ـ إدراكا جديداً لحقيقة جديدة ؛ فلنعلم أن لا سبيل فى السماء لشيطان ، وأن هذا الجمال الباهر فيها محفوظ ، وأن ما ترمز إليه من سمو وعلوّ مصون لا يناله دنس ولا رجس ولا يخطر فيه شيطان ، وإلا طورد فطرد وحيل بينه وبين ما يريد .

ويأتى ذكر الأرض الممدودة أمام النظر ، المبسوطة للخطو والسير ، وما فيها من رواسٍ ، وما فيها من نبت وأرزاق للناس ولغيرهم من الأحياء ، وكل شيء مقدر بقدر ، فهو موزون بميزان الحكمة لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان بحيث لا يطغى نوع على نوع ، أو على بقية الأنواع ، أو جنس على جنس أو على بقية الأجناس ، وجعل فى الأرض ما يعاش به ، وجعل الناس فيها من ليسوا له برازقين من الأنعام والدواب ، وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به ، وما نعطيه إلا بمقدار معلوم على حسب المشيئة والحكمة البالغة والرحمة ، وأرسل الرياح تلقح السحاب فتدر ماء وتلقح الشجر .

يقول صاحب الأساس : « لقد عرف الناس فى عصرنا أن السحاب أنواع ، بعضه فيه كهربائية سالبة ، وبعضه فيه كهربائية موجبة ، وأن للرياح دوراً فى الجمع بين أنواع السحاب » .

وهذا الماء جعلناه لكم سقيا بأن أنزلناه لكم عذبا منتفعا به ، وأنتم لستم بقادرين ـ حتى على خزنه ، قال ابن كثير: « ويحتمل أن المراد : وما أنتم له بحافظين بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ونجعله معينا وينابيع فى الأرض ، ولو شاء الله ـ تعالى ـ لأغاره وذهب به ، ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبا ، وحفظه فى العيون والآبار والأنهار ، وغير ذلك ليبقى لهم فى طول السنة يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم » .

ويقول صاحب الأساس : « ويحتمل معنى آخر يذكره المفسرون .. ، وهو أن مجموع الماء الموجود فى الأرض لا يزيد ولا ينقص ، ومن ثم فحبس هذا الماء على الأرض وفى جوها ما كان ليكون لولا أن الله جعل هذه الأرض على ما هى عليه ، فالآية قد يراد بها هذا ؛ أى وما أنتم بحابسين هذا الماء على الأرض وجوها حتى لا يفر من جو الأرض، ولكن الله هو الذى فعل لكم ذلك » .

ويتم السياق رجع كل شيء إلى الله ، فيرد إليه الحياة والموت ، والأحياء والأموات ، والبعث والنشور ، فالحياة والموت بيد الله ، وهو الوارث بعد الحياة ، ويعلم من كتب عليهم أن يستقدموا فيتوفوا ، ومن كتب عليهم أن يؤجلوا فيستأخروا فى الوفاة ، وأنه هو الذى يحشرهم فى النهاية ،

وإليه المصير ، يقدر لكل أمة أجلها بحكمته ، ويعلم متى تموت ومتى تحشر ، وما بين ذلك من أمور .

ونجىء إلى قصة البشرية الكبرى : قصة الفطرة الأولى قصة الهدى والضلال وعواملهما الأصيلة ، قصة آدم . مم خلق ؟ وماذا صاحب خلقه وتلاه ؟

ولقد مرت هذه القصة معروضة مرتين من قبل فى سورة البقرة وفى سورة الأعراف ، ونقطة التركيز فى السياق هنا هى سر التكوين فى آدم ، وسر الهدى والضلال وعواملهما الأصيلة فى كيان الإنسان ، ومن ثم نص ابتداء على خلق الله آدم من صلصال من حمأ مسنون ، ونفخه فيه من روحه المشرق الكريم ، وخلق الشيطان من قبل من نار السموم ، فيقرر اختلاف الطبيعتين بين الصلصال ـ وهو الطين اليابس الذى يصلصل عند نقره ، المتخذ من الطين الرطب الآسن ، والنار الموسومة بأنها شعواء سامة ، وطبيعة الإنسان قد دخل فيها عنصر جديد هو النفخة من روح الله ، أما طبيعة الشيطان فبقيت من نار السموم ، من نار الريح الشديد الحَرّ .

ويذكر ـ تعالى ـ تنويهه بذكر آدم فى ملائكته قبل خلقه له، وتشريفه إياه بأمره الملائكة بالسجود له ، ويذكر تخلف إبليس ـ عدوّه ـ عن السجود له من بين سائر الملائكة ـ حسدا وكفرا ، وعناداً واستكباراً .

يقول صاحب الظلال : « وإبليس خلق آخر غير الملائكة ، فهو من نار وهم من نور ، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وهو أبى وعصى ، فليس هو من الملائكة بيقين ، أما الاستثناء هنا فليس على وجهه ، إنما هو كما نقول حضر بنو فلان إلا أحمد وليس منهم ، إنما هو معهم فى كل مكان أو ملابسة ، وأما أن الأمر المذكور للملائكة ... فكيف شمل إبليس ؟ فإن صدور الأمر إلى إبليس يدل عليه ما بعده ، وقد ذكر صريحا فى سورة الأعراف ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ وأسلوب القرآن يكتفى بالدلالة اللاحقة فى كثير من المواضع ، فقول الله ـ تعالى ـ له : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ قاطع فى أن الأمر قد صدر له ، وليس من الضرورى أن يكون هذا الأمر هو أمره للملائكة ، فقد يصدر إليه معهم لاجتماعه بهم فى ملابسة ما ، وقد يصدر إليه منفردا ، ولا يذكر تهوينا لشأنه وإظهاراً للملائكة فى الموقف ، ولكن المقطوع به من النصوص ومن دلالة تصرفه أنه ليس من الملائكة وهذا ما نختاره » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ حفظ الله السماء من الشياطين الذين كانوا يتسمعون إلى أخبار الملأ الأعلى .

٢ ـ قدرة الله ـ تعالى ـ الباهرة التى نرى آثارها فى جميع ما حولنا من مخلوقات الله ـ تعالى .

٣ ـ يجب أن نتفكر فى كل ما حولنا ؛ ليزداد إيماننا بعظمة الله وحكمته .

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾
٢٦٤

معانى الكلمات :

رجيم: مطرود من الرحمة مرجوم بالشهب.

الوقت المعلوم : وقت النفخة الأولى .

صراط علىّ : حق علىّ مراعاته .

سلطان : تسلط وقدرة على الإغواء .

جزء مقسوم : فريق معين متميز عن غيره .

غل : حقد وضغينة وعداوة .

نصب : تعب وإعياء .

نبئ : أخبر .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على موقف إبليس من السجود لآدم وعصيانه لأمر الله .

٢ ـ أن نعلم عداوة إبليس لآدم وذريته .

٣ ـ أن نؤمن بالعذاب والنعيم فى الآخرة ، وأن الجنة للمتقين وجهنم للكافرين .

المحتوى التربوى :

يوجه السؤال إلى إبليس ما الغرض من إبائك السجود ؟ وصرحت طبيعة الغرور والاستكبار والعصيان فى ذلك المخلوق من نار السموم ، وذكر إبليس الصلصال والحمأ ، ولم يذكر النفخة العلوية التى تلابس هذا الطين ، وتشامخ برأسه المغرور يقول : إنه ليس من شأنه فى عظمته أن يسجد لبشر خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون ، وكان ما ينبغى أن يكون ، فكان جزاء العصيان والشرود أن أمر إبليس أمراً كونيا لا يخالف ولا يمانع بالخروج من المنزلة التى كان فيها من الملأ الأعلى ، وأنه مرجوم وأنه قد اتبعته لعنة لا تزال متصلة به لاحقة ، متواترة عليه إلى يوم القيامة .

عندئذ تتبدى خليقة الحقد وخليقة الشر ، فطلب النظرة إلى يوم البعث ؛ لا ليندم على خطيئته فى حضرة الخالق العظيم ، ولا ليتوب إلى الله ويرجع ويكفر عن إثمه الجسيم ، ولكن لينتقم من آدم وذريته ـ جزاء ما لعنه الله وطرده ـ يربط لعنة الله له بآدم ، ولا يربطها بعصيانه لله فى تبجح نكير ، وبذلك حدد إبليس ساحة المعركة ، إنها الأرض ، وحدد عدته فيها إنه التزيين ، تزيين القبيح وتجميله ، والإغراء بزينته المصطنعة على ارتكابه ، وهكذا لا يجترح الإنسان الشر إلا وعليه من الشيطان مسحة تزينه وتجمله وتظهره فى غير حقيقته ورداثه ، فليفطن الناس إلى عدة الشيطان ، وليحذروا كلما وجدوا فى أمر تزييناً ، وكلما وجدوا من نفوسهم إليه اشتهاء ، ليحذروا فقد يكون الشيطان هناك إلا أن يتصلوا بالله ويعبدوه حق عبادته ، فليس للشيطان ـ بشرطه هو ـ على عباد الله المخلصين من سبيل ، والله يتخلص لنفسه من عباده من يخلص نفسه لله ويجردها له وحده ، ويعبده كأنه يراه .

ويقول الله ـ تعالى ـ له متهدداً ومتوعداً : إن مرجعكم كلكم إلىَّ ، فأجازيكم بأعمالكم ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وهذه سنة وهى السنة التى ارتضتها الإرادة قانوناً وحكما فى الهدى والضلال ، وعباد الله المخلصون ليس لك عليهم سلطان ، ولا لك فيهم تأثير ؛ ولا تملك أن تزين لهم لأنك عنهم محصور ، ولأنهم منك فى حمى ؛ ولأن مداخلك إلى نفوسهم مغلقة ، وهم يعلقون أبصارهم بالله ، ويدركون ناموسه بفطرتهم الواصلة إلى الله ، إنما سلطانك على من اتبعك من الغاوين الضالين ، والشيطان لا يتلقف إلا الشاردين كما يتلقف الذئب الشاردة من القطيع ، فأما من يخلصون أنفسهم لله ، فالله لا يتركهم للضياع .

وأما العاقبة ، عاقبة الغاوين فهى معلنة فى الساحة منذ البدء ، فهؤلاء الغاوون صنوف ودرجات ، والغواية ألوان وأشكال ، ولكل باب منهم جزء مقسوم بحسب ما يكونون وما يعملون .

وبمناسبة ذكر مصير الغاوين يذكر مصير المخلصين ، والمتقون هم الذين يرقبون الله ، ويقون أنفسهم عذابه وأسبابه ، ولعل العيون فى الجنات تقابل فى المشهد تلك الأبواب فى جهنم ، وهم يدخلون الجنات بسلام آمنين فى مقابل الخوف والفزع هناك ، ونزعنا ما فى صدورهم من غل ، فى مقابل الحقد الذى يغلى به صدر إبليس فيما سلف لا يمسهم فيها نصب ولا يخافون منها خروجا ، جزاء ما خانوا فى الأرض واتقوا ، فاستحقوا المقام المطمئن الآمن فى جوار الله الكريم .

يقول صاحب الظلال : « ومفرق الطريق بين الاتجاه إلى الجنة التى وعد بها المتقون ، وبين الاتجاه إلى جهنم التى وعد بها الغاوون ، هو الدينونة لله وحده ـ التى يعبر عنها فى القرآن دائما بالعبادة ـ أو اتباع تزيين الشيطان بالخروج على هذه الدينونة ، والشيطان نفسه لم يكن ينكر وجود الله ـ سبحانه ، ولا صفاته أى إنه لم يكن يلحد فى الله من ناحية العقيدة ، إنما الذى فعله هو

الخروج على الدينونة لله ، وهذا هو ما أورده جهنم هو ومن اتبعه من الغاوين ... ولا يمكن تجزئة هذه الدينونة ، واختصاصها بالاعتقاد والشعائر دون النظام والشرائع ، فالدينونة لله كل لا يتجزأ... ، وهذا الدين لا يحاول تغيير طبيعة البشر فى هذه الأرض ، ولا تحويلهم خلقا آخر ، ومن ثم يعترف لهم بأنه كان فى صدورهم غل فى الدنيا ، وبأن هذا من طبيعة بشريتهم التى لا يذهب بها الإيمان والإسلام من جذورها ؛ ولكنه يعالجها فقط لتخف حدتها ، ويتسامى بها لتنصرف إلى الحب فى الله والكره فى الله ، وهل الإيمان إلا الحب والبغض ؟ ولكنهم فى الجنة وقد وصلت بشريتهم إلى منتهى رقيها وأدت كذلك دورها فى الحياة ، ينزع أصل الإحساس بالغل من صدورهم ، ولا تكون إلا الأخوة الصافية الودود » .

ويقول صاحب الأساس : « إن الشيطان قد يحرش بين المؤمنين ، فيقع بينهم ما يقع ، فإذا دخلوا فى طور سيئ جرهم ذلك إلى ماهوا أسوأ ، وهكذا ، فإذا كانت لهم نية صالحة فى قضية يحتملها الاجتهاد ، فإنه يرجى للجميع النجاة ، ولكن بعد وقفة ، أفلا تكفى هذه الوقفة كى يبتعد الإنسان عن كل موطن يؤدى إلى أن يكون فى قلبه غل على إخوانه ، أو أن يكون سببا فى إيجاد غل فى قلب غيره عليه » .

ويجىء الأمر للرسول ﷺ بعد ذكر جزاء الغاوين ، وجزاء المتقين ، ويقدم الله نبأ الغفران والرحمة على نبأ العذاب جريا على الأصل الذى ارتضت مشيئته ، فقد كتب على نفسه الرحمة ، وإنما يذكر العذاب وحده أحيانا ، أو يقدم فى النص لحكمة خاصة فى السياق تقتضى إفراده بالذكر أو تقديمه .

وتأتى الآيات بعد ذلك بنماذج من رحمة الله وعذابه ممثلة فى قصص إبراهيم وبشارته على الكبر بغلام عليم ، وتجىء قصة إبراهيم مع الملائكة المرسلين إلى قوم لوط ، وقد وردت هذه الحلقة من قصة إبراهيم وقصة لوط فى مواضع متعددة بأشكال متنوعة ، تناسب السياق الذى وردت فيه ، ووردت قصة لوط وحده فى مواضع أخرى ، وقد مرت حلقة من قصة لوط فى الأعراف ، وحلقة من قصة إبراهيم ولوط فى هود ... وليس المقصود هو القصة بترتيبها الذى وقعت به ، ولكن تصديق النذير .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ عداوة إبليس لآدم وذريته من قديم الزمان ، ووجوب الحذر من كيده .

٢ ـ الشيطان وأعوانه ليس لهم سلطة ولا قدرة على عباد الله المخلصين .

٣ ـ يجب على المسلم أن يجمع بين الرجاء والخوف .

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن
مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ
الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا
اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾

معانى الكلمات :

وجلون : خائفون فزعون .

القانطين : الآيسين من الخير أو الولد .

خطبكم : شأنكم .

الغابرين : الباقين فى العذاب مع غيرها .

يمترون : يشكون .

بقطع : بطائفة .

قضينا إليه : أوحينا إليه .

دابر هؤلاء : آخرهم ، والمراد جميعهم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم موقف سيدنا إبراهيم عليه السلام من أضيافه من الملائكة .

٢ ـ أن نعرف سبب إرسال الملائكة إلى قوم لوط عليه السلام .

٣ ـ أن نعرف موقف أهل سدوم من أضياف سيدنا لوط عليه السلام .

المحتوى التربوى :

يقول ـ تعالى ـ أخبر أمتك عن أضياف إبراهيم ؛ لأن هذا الإخبار يدلهم على سنة الله فى أوليائه ، وعلى سنته فى أعدائه فى الدنيا بعد أن عرفوا من قصة آدم عليه السلام ونهايتها سنته فى أوليائه وأعدائه فى الآخرة ، كما أن فى هذا الإخبار تعريفا لهم على سنته فى إنزال الملائكة الذى اقترحه الكافرون فى أول السورة ، فهو ينزلهم إما لتكريم رسول أو لتعذيب المكذبين .

فالسياق يذكر ضيف إبراهيم وكيف دخلوا عليه فقالوا نسلم سلاما ، ولما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه لهم ضيافة وهو العجل الحنيذ قال : إنا منكم خائفون ، فردوا عليه لا تخف ، وعجلوا له البشرى بغلام عليم ، واستبعد إبراهيم فى أول الأمر أن يرزق بولد فقد مسه الكبر ، وزوجته كذلك عجوز عقيم ، فرده الملائكة إلى اليقين وأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقاً ،

وبشارة بعد بشارة ، فلا تكن من اليائسين ، فأجابهم بأنه ليس يقنط ، ولكن يرجو من الله الولد ، وإن كان قد كبر وأسنَّت امرأته ، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك .

يقول صاحب الظلال : « وبرزت كلمة « الرحمة » فى حكاية قول إبراهيم تنسيقا مع المقدمة فى هذا السياق ، وبرزت معها الحقيقة الكلية : إنه لا يقنط من رحمه ربه إلا الضالون ، الضالون عن طريق الله ، الذين لا يستروحون روحه ، ولا يحسون رحمته ، ولا يستشعرون رأفته وبره ورعايته ، فأما القلب الندى بالإيمان ، المتصل بالرحمن ، فلا ييأس ولا يقنط مهما أحاطت به الشدائد ، ومهما ادلهمت حوله الخطوب ، ومهما غام الجو وتلبد ، وغاب وجه الأمل فى ظلام الحاضر وثقل هذا الواقع الظاهر ، فإن رحمة الله قريب من قلوب المؤمنين المهتدين ، وقدرة الله تنشئ الأسباب كما تنشئ النتائج ، وتغير الواقع كما تغير الموعود » .

وهنا ـ وقد اطمأن إبراهيم إلى الملائكة ، وثابت نفسه واطمأنت للبشرى راح يستطلع سبب مجيئهم وغايته ، ولا يعرض السياق لجدال إبراهيم عن لوط وقومه هنا كما عرض له فى سورة هود ، بل يصل إخبار الملائكة له ، بالنبأ كله ، وذلك أنه يصدق رحمة الله بلوط وأهله ، وعذابه لامرأته وقومه ، وينتهى بذلك دورهم مع إبراهيم ، ويمضون لعملهم مع قوم لوط .

ويعجل السياق إخبارهم للوط بأنهم الملائكة ، جاؤوه بما كان قومه يمترون فيه من أخذهم ـ بذنوبهم وإهلاكهم جزاء ما يرتكبون ؛ تصديقا لوعد الله ، وتوكيداً لوقوع العذاب حين ينزل الملائكة بلا إبطاء ، وجاؤوا لوطا فأنكرهم، فقال : لا أعرفكم ولا أدرى من أى الأقوام أنتم وما أقدمكم .

وقال المهايمى : « أى يخاف منكم تارة وعليكم أخرى ، والظاهر أنه قال ذلك لهم ، بعد معاناته الشدائد من قومه لأجلهم » .

قالها ضيق النفس بهم ، وهو يعرف قومه ، ويعرف ماذا سيحاولون بأضيافه هؤلاء ، وهو بين قومه غريب ، وهم فجرة فاحشون ، إنكم قوم منكرون أن تجيؤوا إلى هذه القرية وأهلها ـ مشهورون بما يفعلون مع أمثالكم حين يجيئون ، وهذه التوكيدات كلها تصور لنا جزع لوط وكربه ، وهو فى حيرة بين واجبه لضيفه وضعفه عن حمايتهم فى وجه قومه ، فجاءه التوكيد بعد التوكيد لإدخال الطمأنينة عليه قبل إلقاء التعليمات إليه .

فهم ما جاؤوا إلا بعذابهم وهلاكهم ودمارهم الذى كانوا يشكون فى وقوعه بهم ، وحلوله بساحتهم ، وأنهم ما جاؤوا إلا بالحق وأنهم صادقون ، ثم يذكر ـ تعالى ـ عن الملائكة أنهم أمروه أن يسرى بأهله بعد مضى جانب من الليل ، وأن يكون لوط عليه السلام يمشى وراءهم ؛ ليكون أحفظ لهم ، وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشى فى الغزو ، وإنما يكون ساقة ، يُزجى الضعيف ويحمل

المنقطع ، ولوط ﷺ يكون فى مؤخرتهم يفقدهم ولا يدع أحداً منهم يتخلف أو يتلكأ أو يلتفت إلى الديار على عادة المهاجرين الذين يتنازعهم الشوق إلى ما خلفوا من ديارهم فيتلفتون إليها ويتلكؤون ، وكان الموعد هو الصبح ، والصبح قريب .

وأطلعناه على ذلك الأمر الخطير : إن آخر هؤلاء القوم ـ وهو دابرهم ـ مقطوع فى الصباح ، وإذا انقطع آخرهم فقد انقطع أولهم ، والتعبير على هذا النحو يصور النهاية الشاملة التى لا تبقى أحدا ، فلا بد من الحرص واليقظة كى لا يتخلف أحد ولا يتلفت ، فيصيبه ما يصيب أهل المدينة المتخلفين .

ثم أكمل ما حدث من قوم لوط قبلها ، لقد تسامعوا بأن فى بيت لوط شبانا صباح الوجوه ، ففرحوا بأن هناك صيداً ، والتعبير على هذا النحو يكشف عن مدى الشناعة والبشاعة الذى وصل إليه القوم فى الدنس والفجور فى الفاحشة الشاذة المريضة ، يكشف عن هذا المدى فى مشهد أهل المدينة يجيئون جماعة ، يستبشرون بالعثور على شبان يعتدون عليهم جهرة وعلانية ، وهذه العلانية الفاضحة فى طلب هذا المنكر ـ فوق المنكر ذاته ـ شىء بشع لا يكاد الخيال يتصور وقوعه لولا أنه وقع ، فقد يشذ فرد مريض فيتوارى بشذوذه ، ويتخفى بمرضه ، ويحاول الحصول على لذته المستقذرة فى الخفاء ، وهو يخجل أن يطلع عليه الناس ، وإن الفطرة السليمة لتتخفى بهذه اللذة حين تكون طبيعية ، بل حين تكون شرعية ، وبعض أنواع الحيوان يتخفى بها كذلك ، بينما أولئك القوم المنحوسون يجاهرون بها ويتجمهرون لتحصيلها ، ويستبشرون جماعات وهم يتلمظون عليها ؛ إنها حالة من الارتكاس معدومة النظير .

فأما لوط فوقف مكروباً يحاول أن يدفع عن ضيفه وعن شرفه ، فهؤلاء ضيفه ؛ ومن أساء إلى ضيفه فقد أساء إليه، فقال لقومه : لا تؤذونى بإذلال ضيفى وإهانته، فكان الرد الجافى : أو ما نهيناك أن تضيف أحداً أو تدفع عن أحد ؟ !

لقد سلك النبى لوط ﷺ مع قومه كل سبيل ، ولم ييأس فقد خاطب فيهم المروءة والنبل ، لأنه لم يكن يأوى إلى ركن شديد فى قومه ، وعندما يأس من استدرار المروءة فيهم ، خاطب فيهم فطرتهم المرتكسة ليوقظها لكن هذه الفطرة قد ماتت

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ مشروعية السلام لمن يدخل على الإنسان ووجوب الرد عليه .

٢ ـ يجب على الزائر أن يفصح عن الغرض من زيارته بعد أن يعرف صاحب البيت بنفسه .

٣ ـ الإسراع بتبليغ الأخبار السارة ، واللطف فى توصيل الأخبار السيئة .

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ
يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾
فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ
ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾
وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ
ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ
وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ
أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾
٢٦٦

معانى الكلمات :

سكرتهم : غوايتهم وضلالتهم .

يعمهون : يعمون عن الرشد أو يتحيرون .

سجيل : طين متحجر طبخ بالنار .

للمتوسمين : للمتأملين المتفرسين .

أزواجاً : أصنافاً .

اخفض جناحك : تواضع وألن جانبك .

المقتسمين : أهل الكتاب .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم جزاء قوم لوط وما نزل بهم من العذاب .

٢ ـ أن نعلم جزاء قوم شعيب ، وقوم صالح وكلهم كانوا ظالمين .

٣ ـ أن نؤمن بقدرة الله ، وأن الساعة آتية لا محالة .

المحتوى التربوى :

يمضى لوط فى محاولته يلوح لهم باتجاه الفطرة السليمة إلى الجنس الآخر ، إلى الإناث اللواتى جعلهن الله لتلبية هذا الدافع العميق فى نظام الحياة ؛ ليكون النسل الذى تمتد به الحياة وجعل تلبية هذا الدافع معهن موضع اللذة السليمة المريحة للجنسين معاً ـ فى الحالات الطبيعية ـ ليكون هذا ضمانا لامتداد الحياة ، بدافع من الرغبة الشخصية العميقة .

يمضى لوط فى محاولته هذه لا يعرض بناته على هؤلاء الفجار ليأخذوهن سفاحا ، وإنما يرشدهم إلى نسائهم ، وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة ، فهو يلوح لهم بالطريق الطبيعى ـ الذى ترضاه الفطرة السليمة ، لينبه فيهم هذه الفطرة ، وبينما هذا المشهد معروض ، القوم فى سعارهم المريض يستبشرون ويتلمظون ، ولوط يدافعهم ويستثير نخوتهم ، ويستجيش

وجدانهم ، ويحرك دواعى الفطرة السليمة فيهم ، وهم فى سعارهم مندفعون ، هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم وما قد أحاط بهم البلاء ، وماذا يصبحهم من العذاب المستقر .

ثم تكون الخاتمة ، وتحق عليهم كلمة الله ، وإذا نحن أمام مشهد الدمار والخراب والخسف والهلاك المناسب لتلك الطبائع المقلوبة ، وقد خسف بقرى لوط بظاهرة تشبه ظاهرة الزلازل أو البراكين وتصاحبها أحيانا ظاهرة الخسف ، وتناثر أحجار ملوثة بالطين وهبوط مدن بكاملها تسيخ فى الأرض .

يقول صاحب الظلال : « إننا نعلم علم اليقين أن الظواهر الكونية كلها تجرى وفق ناموس الله الذى أودعه هذا الكون ، ولكن كل ظاهرة وكل حدث فى هذا الكون لا يقع بأية حتمية إنما يقع وفق قدر خاص به ، بلا تعارض بين ثبات الناموس وجريان المشيئة بقدر خاص لكل حدث كذلك نحن نعلم علم اليقين أن الله ـ سبحانه ـ يجرى فى حالات معينة أقداراً معينة لوجهة معينة، وليس من الضرورى أن يكون ذلك الذى دمر قرى لوط زلزال أو بركان عادى ، فقد يريد الله أن ينزل بهم ما يشاء ، وقتما يشاء ، فيكون ما يشاء ، وفق ما يشاء ، وهذا هو المنهج الإيمانى فى تفسير معجزات الرسل أجمعين » .

وقرى لوط تقع فى طريق مطروق بين الحجاز والشام يمر عليها الناس إلى اليوم ، وفيها عظات لمن يتفرس ويتأمل ، ويجد العبرة فى مصارع الغابرين ، وإن كانت الآيات لا تنفع إلا القلوب المؤمنة المتفتحة المستعدة للتلقى والتدبر واليقين ، وهكذا صدق النذير ، وكان نزول الملائكة إيذانا بعذاب الله الذى لا يرد ولا يمهل ولا يحيد .

كذلك كان الحال مع قوم شعيب أصحاب الشجر الملتف الكثيف الذين ظلموا بشركهم بالله وقطعهم الطريق ، ونقصهم المكيال والميزان ، فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة ، وقد كانوا قريباً من قوم لوط بعدهم فى الزمان ، ومسامتين لهم فى المكان ، ولهذا قال ـ تعالى : إنهما بطريق ظاهر مبين غير مندثر ، ووقوع القرى الداثرة على الطريق المطروق أدعى إلى العبرة .

أما أصحاب الحجر فهم قوم صالح ، والحجر تقع بين الحجاز والشام إلى وادى القرى ، وهى ظاهرة إلى اليوم ، فقد نحتوها فى الصخر فى ذلك الزمان البعيد ، مما يدل على القوة والأيدى والحضارة وهم لم يكذبوا سوى رسولهم صالح ، ولكن صالحا ليس إلا ممثلا للرسل أجمعين ، فلما كذبه قومه قيل : إنهم كذبوا المرسلين ، توحيداً للرسالة وللرسل وللمكذبين ، فى كل أعصار التاريخ ، وفى كل جوانب الأرض على اختلاف الزمان والمكان والأشخاص والأقوام ، وآية

صالح كانت الناقة ، ولكن الآيات فى هذا الكون والأنفس كثيرة ، وكلها معروضة للأنظار والأفكار ، وقد أعرضوا عن آيات الله كلها .

وتأتى اللمحة الخاطفة من أمنهم فى البيوت الحصينة التى نحتوها فى صلب الجبال ، إلى الصيحة التى تأخذهم فلا تبقى لهم مما جمعوا ومما كسبوا ومما بنوا ومما نحتوا شيئا يغنى عنهم ويدفع الهلاك الخاطف ، هذه اللمحة تلمس القلب البشرى لمسة عنيفة ، فما يأمن قوم على أنفسهم أكثر مما يأمن قوم بيوتهم منحوتة فى صلب الصخور ، وما يبلغ الاطمئنان بالناس فى وقت الصباح المشرق الوديع ، وها هم أولاء قوم صالح تأخذهم الصيحة مصبحين وهم فى ديارهم الحصينة آمنون ، فإذا كل شىء ذاهب ، وإذا كل وقاية ضائعة ، وإذا كل جهد لا يغنى صاحبه شيئا متى جاء أمر الله .

ويأتى التعقيب بتقرير الحق الذى تقوم به السموات والأرض ، والذى به كان خلقهما وما بينهما ، ويتصل الحق الذى خلق الله به السموات والأرض وما بينهما بالساعة الآتية لا ريب فيها ، فهى آتية لا تتخلف ، وهى جزء من الحق الذى قام به الوجود ، فهى فى ذاتها حقيقة ، وقد جاءت لتحق الحق ، فلا تشغل قلبك بالحنق والحقد ، وأعرض عنهم إعراضا جميلاً بحلم وإغضاء ، والله ـ تعالى ـ هو الخلاق الذى خلق كل شىء ، العليم بحالك وحالهم ، فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم ، وهو يحكم بينكم ، وفى هذا تقرير للمعاد .

يتصل بهذا الحق الكبير تلك الرسالة التى جاء بها الرسول ، وذلك القرآن الذى أوتيه ، والمثانى الأرجح أن المقصود بها آيات سورة الفاتحة السبع ، فهى تثنى وتكرر فى الصلاة ، أو يثنى فيها على الله ، والقرآن العظيم ـ سائر القرآن ، ومن أوتى هذا لا يمتد بصره ولا تتحرك نفسه لشىء زائل فى هذه الأرض من أعراضها الزوائل ، ولا إلى ما متع به أهلها فلا يغمطهم بما هم فيه ولا تذهب نفسه حسرات ـ حزنا عليهم فى تكذيبهم لك ، وألن جانبك للمؤمنين ، وأخبر الناس أنك النذير من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبه كما حلَّ بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسلها الذين تحالفوا على مخالفة الأنبياء،فكأنهم كانوا لا يكذبون بشىء إلا أقسموا عليه.

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ فى الزواج عفة وطهارة ، وصيانة للكرامة وللأسرة ، وللحقوق .

٢ ـ للمؤمن فراسة ونظر ثاقب وبصيرة ملهمة ؛ لأنه يرى بنور الله .

٣ ـ يجب أن نتعظ بمن سبقنا ، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين .

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾
سُورَةُ النَّحْلِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الجزء ١٤
أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾
٢٦٧

معانى الكلمات :

عضين : أجزاء وأعضاء .

فاصدع : فاجهر .

اليقين : الموت المتيقن .

أمر الله : الساعة أو العذاب .

بالروح : بالوحى .

خصيم : شديد الخصومة بالباطل .

تريحون : تردونها آخر النهار .

تسرحون : تخرجونها أول النهار .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعرف أن الرسول ﷺ معصوم بالله من أذى الناس وشرهم .

٢ ـ أن نعلم أن سنة الله تمضى وفق مشيئته ، لا يقدمها استعجال ولا يؤخرها رجاء .

٣ ـ أن نستشعر قدرة الله ، ونتعرف على بعض مظاهرها .

المحتوى التربوى :

يتجه الخطاب إلى الرسول ﷺ أن يمضى فى طريقه ، يجهر بما أمره الله أن يبلغه ، ويسمى هذا الجهر صدعاً ـ أى شقا ـ دلالة على القوة والنفاذ ، لا يقعده عن الجهر والمضى شرك مشرك فسوف يعلم المشركون عاقبة أمرهم ، ولا استهزاء مستهزئ فقد كفاه الله شر المستهزئين ، والرسول ﷺ يستر لا يملك نفسه أن يضيق صدره وهو يسمع الشرك بالله ، ويسمع الاستهزاء بدعوة الحق ، فيغار على الدعوة ويغار على الحق ، ويضيق بالضلال والشرك لهذا يؤمر أن يسبح بحمد ربه ويعبده ، ويلوذ بالتسبيح والحمد والعباد من سوء ما يسمع من القوم ولا يفتر عن التسبيح بحمد ربه طوال الحياة ، حتى يأتيه اليقين الذى ما بعده يقين ـ الأجل ـ فيمضى إلى جوار ربه الكريم .

يقول صاحب الظلال : « إن الصدع بحقيقة هذه العقيدة ، والجهر بكل مقوماتها وكل مقتضياتها ضرورة فى الحركة بهذه الدعوة ؛ فالصدع القوى النافذ هو الذى يهز الفطرة الغافية ، ويوقظ المشاعر المتلبدة ، ويقيم الحجة على الناس ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾ (الأنفال : ٤٢) أما التدسس الناعم بهذه العقيدة ، وجعلها عضين يعرض الداعية منها جانباً ويكتم جانبا ؛ لأن هذا الجانب يثير الطواغيت أو يصد الجماهير ، فهذا ليس من طبيعة الحركة الصحيحة بهذه العقيدة القوية ، والصدع بحقيقة هذه الحقيقة لا يعنى الغلظة المنفرة ، والخشونة وقلة الذوق والجلافة .. » .

سورة النحل

تلم هذه السورة بحقيقة الوحدانية الكبرى التى تصل بين دين إبراهيم ﷺ ودين محمد ﷺ ، وتلم بحقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والضلال ، وتلم بوظيفة الرسل ، وسنة الله فى المكذبين لهم ، وتلم بموضوع التحليل والتحريم وأوهام الوثنية حول هذا الموضوع ، وتلم بالهجرة فى سبيل الله ، وفتنة المسلمين فى دينهم ، والكفر بعد الإيمان ، وجزاء هذا كله عند الله ، ثم تضيف إلى موضوعات العقيدة موضوعات المعاملة : العدل والإحسان والإنفاق والوفاء بالعهد ، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة ، وهكذا هى مليئة حافلة من ناحية الموضوعات التى تعالجها » .

وتبدأ السورة بالتوحيد ، وأدواته هى آيات الله فى الخلق ، وآياته فى النعمة ، وعلمه الشامل فى السر والعلانية ، والدنيا والآخرة ، ولقد كان مشركو مكة يستعجلون الرسول ﷺ أن يأتيهم بعذاب الدنيا أو عذاب الآخرة ، وكلما امتد بهم الأجل ولم ينزل بهم العذاب زادوا استعجالا ، وزادوا استهزاء ، وزادوا استهتاراً ، وحسبوا أن محمداً ﷺ يخوفهم ما لا وجود له ولا حقيقة ؛ ليؤمنوا له ويستسلموا ، ولم يدركوا حكمة الله فى إمهالهم ورحمته فى إنظارهم ، ولم يحاولوا تدبر آياته فى الكون ، وآياته فى القرآن ، وجاء مطلع السورة حاسماً جازما : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ يوحى بصدور الأمر وتوجه الإرادة ، وهذا يكفى لتحققه فى الموعد الذى قدره الله لوقوعه ، فلا تستعجلوه فإن سنة الله تمضى وفق مشيئته ، لا يقدمها استعجال ولا يؤخرها رجاء ، فأمر الله بالعذاب أو بالساعة قد قضى وانتهى ، وأما ما هم عليه من شرك بالله الواحد ، وتصورات مستمدة من هذا الشرك فقد تنزه الله عنه وتعالى عما يشركون به بكل صوره وأشكاله ، الناشئة عن هبوط فى التصور والتفكير .

والله ـ عز وجل ـ لا يدع الناس إلى ضلالهم وأوهامهم إنما هو ينزل عليهم من السماء ما يحييهم وينجيهم ، فهو ينزل الملائكة بالوحى أو بالقرآن ، وهو من الوحى ؛ وسمى الوحى والقرآن روحا لأنه يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد ، أو لأنه يحيى القلوب الميتة ، والملائكة